

أثر الوحدة في العالم الإسلامي

المكان: طهران

الزمان: 1389/12/1 ش. 1432/3/16 ق. 2011/02/20 م.

الحضور: جمع من الضيوف المشاركين في مؤتمر الوحدة الإسلامية

المناسبة: مؤتمر الوحدة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

استفدنا كثيراً من كلمات الإخوة الأعزاء. ليت الوقت كان أطول وكان بمستطاعنا الانتفاع من كلمات سائر الإخوة. حينما نسمع هذا الكلام منكم تتجسّد لنا مرة أخرى عظمة الإسلام وشموليته وانتصاره.

اجتماع اليوم واجتماعاتكم الأخرى انعقدت تحت عنوان الوحدة.. الاتحاد بين العالم الإسلامي والوحدة بين المسلمين. وبالطبع فالوحدة هي القضية الرئيسية. إذا تحقق الاتحاد بين المسلمين بشكل واقعي وبالمعنى الحقيقي فسوف تعالج معظم معضلات المسلمين. وعلينا جميعاً أن نسعى، ويجب علينا نحن أيضاً أن نسعى حتى تتقرب القلوب من بعضها إن شاء الله، وليس الألسن فقط. إذا تقاربت القلوب من بعضها تقاربت الأيدي والأعمال تبعاً لها.

يعيش العالم الإسلامي اليوم مقطعاً تاريخياً، وعلينا أن نعرف هذا المقطع ولا نغفل عنه. طوال الأعوام الثلاثين الماضية – من بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران – لم يحدث مثل هذا الوضع في العالم الإسلامي على الإطلاق. وحينما نقول هذا المقطع فليس معنى ذلك أن العالم الإسلامي كان هادئاً وساكناً وغير مكترث طوال هذه الأعوام الثلاثين، لا. أعتقد، والواقع هو هذا بالتأكيد، بأن نشاطات العظماء على مرّ الأعوام، وتحركات المصلحين، ودماء المضحين، وتعليمات أصحاب الفكر، وبالتالي الثورة الإسلامية في إيران، تركت جميعها تأثيراتها في العالم

الإسلامي، وقلّبت القلوب، ودلت على الاتجاهات، وتراكت الحفريات تدريجياً وراحت هذه الحفريات تتجلى الآن في فرصة معينة. هذا المقطع مقطع مهم، ويمكنه أن يفضي لحل مشاكل العالم الإسلامي، وإذا لم نعرفه بصورة صحيحة، ولم نستفد منه بصورة صحيحة، فقد يخلق لنا مشاكل أخرى.

ما حدث هو تحرك مليوني للجماهير في الساحة. وهذا شيء منقطع النظير. هذا التحرك في الجمهورية الإسلامية هو الذي أنقذ إيران. لو نزلت الأحزاب والجماعات والشخصيات وما إلى ذلك للساحة بدل الجماهير لما حدث هذا التأثير. ثمة في تواجد الجماهير المليونية تأثير لا يوجد في أي شيء آخر. وبالطبع فإن التواجد المليونى للجماهير غير متاح من دون الإيمان القلبي. أن يحضروا ويتواجدوا أولاً، وأن يبقوا إلى حصول النتيجة ثانياً، وأن يحافظوا على النتيجة ثالثاً. هذا ما يحتاج إلى الإيمان الديني والإسلامي.

ذكرت الثورة الفرنسية الكبرى هنا. كانت الثورة الفرنسية الكبرى حركة شعبية انتهت إلى النصر، لكن ذلك النصر لم يجر الحفاظ عليه وصيانتته. وقعت الثورة الفرنسية الكبرى في سنة 1789، وفي سنة 1800، أي بعد أحد عشر عاماً ظهرت في فرنسا حكومة ملكية أخرى، حيث تولى نابليون زمام السلطة.. وكأن لم يكن شيئاً مذكوراً! ثم مات نابليون وعادت العائلة التي ذهبت بالثورة الفرنسية الكبرى إلى السلطة، أي عائلة البوربون. واستغرق الأمر سنين طويلاً إلى عام 1860 حيث كانت سلالات الملوك والسلطين تتعاقب في فرنسا. إذن، انتصرت الثورة على أيدي الناس، لكن الناس لم يستطيعوا الاحتفاظ بالثورة. وهذه نقطة على جانب كبير من الأهمية. وقد استطعنا نحن الحفاظ على ثورتنا ببركة الإيمان وبفضل الإسلام وبفضل البث المتعاقب لروح القرآن الكريم في جسد هذا الشعب وفي قلوب هؤلاء الجماهير. هذا ما بوسعه ضمان بقاء الحركات واستمرارها وانتصارها، وهذا ما يجب أن يحصل.

الجماهير اليوم في الساحة، في مصر وفي تونس وفي مناطق أخرى. وهذا ما يجب أن يوجّه وتجري هدايته وتوجيهه. العدو يحاول تصوير هذا التحرك على أنه غير إسلامي، وهذا خطأ. إنه تحرك إسلامي بالتأكيد. ماضي مصر يدل على هذا. والتحرك المصري اليوم يدل على هذا. شعارات الجماهير وتواجدها في صلوات الجمعة تدل كلها على هذا. إذن هو تحرك إسلامي بلا شك، رغم

أن الأعداء يحاولون عدم السماح بتثبيت هذه الإسلامية في مصر أو في الأماكن الأخرى. ينبغي تعزيز هذه الحركة.

أمريكا هي أساس المشكلة في العالم الإسلامي. تواجد المستكبرين والمستعمرين في العالم الإسلامي وجه دوماً أكثر وأعنف الضربات للهوية الإسلامية والشعبية للشعوب، بدءاً من شرق العالم الإسلامي حيث اندونيسيا وماليزيا والهند وإلى أفريقيا. كان هناك دوماً تواجد المستعمرين الذي أضعف الشعوب وامتص دماءهم وأضعف إرادتهم. وذلك المستكبر والمستعمر اليوم هو أمريكا. والباقيون على الهامش. تواجد أمريكا هو المشكلة الأكبر. يقول: «وجودك ذنب لا يقاس به ذنب». تواجد أمريكا هو في الوقت الراهن أكبر المآسي في العالم الإسلامي. وهذا ما ينبغي معالجته. ويجب إبعاد أمريكا عن الساحة وتضعيفها، ولحسن الحظ فقد أصبحت ضعيفة. أمريكا اليوم ليست أمريكا قبل عشرين سنة وثلاثين سنة. أمريكا اليوم غدت ضعيفة جداً. وهذا ما ينبغي الحفاظ عليه وعدم الركون لليأس.

لاحظوا أن مشاهد صدر الإسلام هي نماذج لنا. لا أريد الادعاء أن جميع أحداثنا تشبه بصورة عينية أحداث صدر الإسلام، لا، فالعالم قد تغير، والمحفزات والأشكال قد تغيرت، لكن صدر الإسلام لوحة جد معقدة وفنية ومندمجة يمكن أن نشاهد في أجزائها الجوانب المختلفة لتاريخ الأمة الإسلامية إلى يومنا هذا وإلى الأبد. أي جزء من هذه الأجزاء لاحظته المرء وطابقه مع زمانه استطاع أن يفهم.

لاحظوا أن هناك نوعين من الأفراد في مواجهة الأعداء.. «وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً، وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا» (1). هذه نظرة ورؤية في مواجهة هذه الأحداث. وهناك نظرة أخرى تقول: «ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً» (2). وهذه بدورها نظرة. وكلا النظرتين في حادثة واحدة. كلاهما تعود لحادثة الأحزاب. البعض حينما يرون الأحزاب يقولون: «ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً»، والبعض الآخر حينما يرون الأحزاب يقولون: «هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً». هذا شيء مهم. وهو شيء يعرض علينا وضعنا الحالي.

لدينا نوعان من الأفراد، نوع من الأفراد حينما يرون هيمنة أمريكا وقدراتها العسكرية والدبلوماسية والإعلامية وأموالها الوفيرة، يفزعون ويقولون إننا لا نستطيع فعل شيء، فلماذا نهدر طاقاتنا دون فائدة؟ ومثل هؤلاء الأفراد موجودون الآن، وكانوا موجودين في زمن ثورتنا. لقد واجهنا أفراداً من هذا القبيل كانوا يقولون: لماذا تجهد نفسك دون فائدة يا سيدي، اقنعوا بالحد الأدنى، وأنهوا القضية. هكذا هم البعض.

وبالعوض الآخر لا، يقارنون قدرة العدو بقدرة الله تعالى، ويضعون عظمة العدو مقابل عظمة الخالق، وعندها سيرون أن العدو تافه على الإطلاق، وليس بشيء. وسيحسبون الوعد الإلهي حقاً وصدقاً، ويحسنون الظن بالوعد الإلهي.. هذا مهم.. لقد وعدنا الله تعالى: «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز»(3). هذا وعد قاطع وأكد. إذا أحسننا الظن بالوعد الإلهي سوف نعمل بطريقة معينة، وإذا أسأنا الظن بالوعد الإلهي فسوف نعمل بطريقة أخرى. ولقد شخّص الباري تعالى الذين يسيئون الظن بالله فقال: «ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنم وساءت مصيراً»(4). هؤلاء «الظانين بالله ظن السوء» موجودون اليوم أيضاً. ويقول بعد عدة آيات: «بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً»(5). سوء الظن بالله يجعل الإنسان يقعد ويعجز عن التحرك والسعي والعمل. وإذا أحسننا الظن بالله استطعنا العمل والتقدم.

نحن نحسن الظن بالله، وقد تعامل الله تعالى معنا طبقاً لحسن ظننا به. طوال هذه السنوات الثلاثين ونيف تعامل معنا الله تعالى طبقاً لحسن ظننا به. كانت لنا مشاكل عديدة وقد خرجنا من جميعها منتصرين. الحظر الاقتصادي ليس بالشيء القليل ولم يكن أبداً. لكننا سحقنا الحظر بأقدامنا. في الفترة الأخيرة، قالوا إننا لن نبيعكم البترين. ونحن بلد ينتج النفط لكننا نستورد البترين، وقالوا لنا سوف لن نبيعكم البترين. هذا نموذج صغير جداً. وهناك المئات من النماذج الأخرى من هذا القبيل. لكن طاقاتنا سعت على الأمل بالله، واستطعنا في ظرف أقل من سنة أن نستغني عن استيراد البترين. فرضوا علينا الحرب ثمانية أعوام. وضعونا مقابل عدو عنود سيئ خبيث جداً مثل صدام حسين، ودافعوا عنه ودعموه بكل طاقاتهم. واستطعنا والحمد لله التغلب على تلك الحادثة.

تقدمنا على الأمل بالله في كل الميادين. ونتقدم اليوم في الميدان العلمي. وقد أشاروا إلى قضيتنا النووية. لقد استطعنا بتوفيق من الله وبقدرة الله أن نحل قضيتنا النووية ونتقدم بها إلى الأمام. واليوم يثير الغريون الضجيج، لكنهم متخلفون عن القضية، ويوجهون التهم، ويتكلمون، ويشيرون الإعلام، ويضغطون، لكنهم لا يستطيعون فعل شيء. مضي الوقت لصالحنا. إننا نتقدم باستمرار وهم يقرعون رؤوسهم باستمرار ويشيرون الضجيج. هكذا هو الحال حينما ندخل متوكلين على الله.

الشباب الذين يعملون في المجال النووي أصروا قبل سنتين أو ثلاث وطلبوا أن يأتوا للقاء. وأقاموا هنا في هذه الحسينية معرضاً لأشاهد عن قرب أعمالهم. وذهبت ورأيت أنهم كلهم شباب، هذا أولاً، وثانياً كلهم مؤمنون متدينون. ذات يوم كان التصور أن كل من يدخل حيز العلوم الحديثة ويتخصص فيها ينبغي أن يكون عديم الدين أو غير مكترث للدين. لكنني وجدت أن الأمر غير ذلك، فكلهم شباب متدينون مؤمنون مندفعون ومخلصون. هكذا هو الحال الآن في مختلف قطاعات البلاد. هذه هي تجربتنا. وهي تجربة نضعها تحت تصرف العالم الإسلامي.

طبعاً الشعب المصري والشعوب الأخرى غنية والحمد لله بالمفاهيم والمعارف الإسلامية. نحن على معرفة بالمعارف الإسلامية التي كانت شائعة في مصر على مر الأزمنة. وفي صلاة الجمعة التي أشرتم إليها قلت إن الشعب المصري كان أول شعب تعرف على الثقافة الغربية - نابليون نقل الثقافة الغربية إلى مصر - وكان أول شعب أدرك معايب هذه الثقافة وواجهها. وقد كانت مصر مقر الشيخ محمد عبده والسيد جمال وآخرين. وقد كان هؤلاء أول من واجه الثقافة الغربية مباشرة وكافحها. وبعد ذلك أيضاً كانت مصر والكثير من البلدان العربية - والحمد لله - مركزاً لتفجر الأفكار الإسلامية، وبلدناً مفيدة لكل الإسلام.

واليوم فإن هؤلاء الجماهير قد نزلت إلى الساحة، وينبغي السعي لكي لا يستطيع العدو مصادرة حركة الشعب المصري، ولا يستطيع تحريفها، ولا يتمكن من إبقاء بقايا النظام الطاغوتي والفرعوني في مصر، ثم ينشرها بعد ذلك تدريجياً في كل مكان. ينبغي الحذر من هذه الحالات. هذا من واجب المصريين أنفسهم، وهو كذلك من واجب كل العالم الإسلامي.

يجب أن لا تكون هناك فوارق بين الشعوب. الأثر الأول للوحدة الإسلامية يجب أن يكون الشعور بالتعاطف والتضامن بين الشعوب. حينما يفرح شعب تفرح له باقي الشعوب، وحينما يكون حزيناً تحزن له باقي الشعوب. وحينما يكون في مأزق يرى الآخرون أنفسهم أصحاب سهم في ذلك المأزق، وحينما يستنصرهم شعب يهبّ الآخرون لنصرته ويأتوا إليه. هذا هو واجبنا. وهو ما سوف يحصل ويتقدم. إننا مؤمنون بهذا الوعد الإلهي، وعلى يقين منه، ونعتقد «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا» (6)، وأن الله تعالى سيعين المؤمنين بلا شك.

كلنا يجب أن نعرف قدر هذه الجلسات والاجتماعات. تقارب القلوب هذا مهم جداً. مسائل السنة والشيعة وصراعات السنة والشيعة أمور يريد أعداء الإسلام اليوم التركيز عليها. الذين يتحدثون حول التشيع والذين يتحدثون حول التسنن لا يؤمنون بالسنة ولا الشيعة ولا عظماء الإسلام ولا علماء الإسلام المعاصرين، إنما لهم أهداف أخرى. يجب التغلب على كل هؤلاء، وتأمين الوحدة، وستكون الوحدة إن شاء الله رصيذاً ودعامة لانتصار العالم الإسلامي.

أرحب بالإخوة الأعزاء مرة أخرى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

الهوامش:

1 - سورة الأحزاب، الآيتان 12 و 13 .

2 - سورة الأحزاب، الآية 24 .

3 - سورة الحج، الآية: 40.

4 - سورة الفتح، الآية: 6.

5 - سورة الفتح، الآية: 12.

6 - سورة العنكبوت، الآية: 69.

